● خبر ثقافي

إصدار كتاب عن الحركة الثقافية والاجتماعية في النبطية

أصدرت دار الأمير في بيروت كتاب "الحركة العلمية والثقافية والاجتماعية في النبطية ومنطقتها بين عامي ١٨٠٥/ ٢٠٢٣" للباحث علي حسين مزرعاني ضمن سلسلة إصدارات الدار للموسم الثاني لسنة ٢٠٢٣. ويتناول الكتاب بالصور والوثائق والأبحاث بدايات التعليم في مدينة النبطية وجوارها، من مدرسة الكوثرية والنميرية وجباع وصولاً إلى المدرسة الحميدية التي أسسها السيد حسن يوسف مكي والمدرسة النورية في النبطية الفوقا وغيرهما.

كما يتناول الكتاب الحركة الاجتماعية في مطلع القرن العشرين والدواوين الثقافية التي اشتهرت بها النبطية خصوصاً ديوانية الشيخ أحمد رضا.

ويتحدث الكتاب عن الحركة الكشفية وتطورها مع الكشاف العاملي الذي تأسس في العام ١٩٣٢، وبدايات السينما التي كانت النبطية من الأوائل في استضافتها في العام ١٩٤٣، وغير ذلك من وسائل الترفيه والمقاهي؛ مركّزاً على بدايات الحركة الفنية في النبطية ومحيطها، خصوصاً الحركة المسرحية منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي، ويؤرخ لتطور هذه الحركة مع تأسيس الأندية والجمعيات وانطلاقتها مع نادي الشقيف في العام ١٩٦٤ لتتطور إلى فرقة مسرحية كاملة عُرفت على صعيد لبنان مع العام ١٩٧٣، مبرزاً بالصورة أهم النشاطات الثقافية التي استضافتها الأندية والجمعيات في النبطية ومنها نادي الشقيف والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي وجمعية تقدم المرأة والنادي الحسيني وغيرهم.

ويأتي هذا الكتاب ليوثق معظم هذه النشاطات واليوميات بالصور والوثائق كي لا يضيع تعب العمر وهذا التاريخ بفعل الأحداث التي عصفت بنا سابقاً ولم تتوقف حتى اليوم، بحيث تكون الخسارة الكبرى ليست البشر والحجر، بل الوثائق والصور التي هي جزء من هويتنا الحضارية وتراثنا الوطني الذي يعمل العدو على محوه وإبادته.

لقد دأب الباحث علي مزرعاني منذ سنوات طويلة على تقصي أخبار النبطية من كافة النواحي، عبر المصادر والمراجع والمقابلات الشخصية، بالإضافة إلى هوايته في التصوير الفوتوغرافي منذ أكثر من أربعين عاماً حيث تراكمت لديه كل هذه المادة المعرفية والوثائقية والفوتوغرافية لتُنجز هذا الكتاب- المجلد، الذي أتت معظم صوره عبر عدسة المؤلف الشخصية ومن أرشيفه الخاص الذي جمعه عبر سنوات من البحث من بيوتات النبطية والجنوب.

ورغم أن كتاباً بهذا الحجم بحاجة إلى جهود مؤسسة كبرى، لكن الجهد الذي بذله الباحث علي مزرعاني مكنه من إنجازه بمفرده، تاركاً للأجيال والباحثين ذاكرة مصورة تحكي جبل عامل ولبنان والمنطقة في أكبر عمل توثيقي في مجاله.

وتجدر الإشارة أن مزرعاني كان قد أصدر ١٥ مؤلفاً في مجال التأريخ والتوثيق عن جبل عامل ومواضيع أخرى، كما أنه عمل مراسلاً عسكرياً على مدى ثلاثين عاماً لدى مديرية التوجيه في الجيش اللبناني قبل تقاعده. يقع الكتاب المجلد بطريقة فاخرة في ٥٠٠ صفحة من القطع الكبير موزعة على أربعة فصول بالألوان، ويحتوي على أكثر من ٤٠٠٠ صورة ووثيقة منذ مطلع القرن العشرين وحتى يومنا هذا، وسوف يكون متوفراً لدى جناح دار الأمير في معرض بيروت العربي الدولي للكتاب الـ ٦٥ في بيروت هذا الشهر.

مؤلفة كتب صمود الأطفال «زينب إيمان طلب» للوفاق:

على الكتّاب رواية حياة أطفال المقاومة

الوفاق/ خاص
موناسادات خواسته

كتب المقاومة كثيرة، ولكن الحركة التي نشهدها أخيراً هي تأليف الكتب لأطفال مقاومون يواجهون الحرب والظلم، ومنها كتاب "النشأة في سبيدان"؛ الذي قصته مستوحاة من رسومات أطفال سوريا المحاصرين في "الفوعة وكفريا"، من تأليف زينب إيمان طلب، صدرت عن دار نشر "راه يار". "الفوعة وكفريا" بلدتان شيعيتان في محافظة إدلب السورية، ناضل أهاليهما بشكل متواصل منذ ثلاث سنوات، في حصار كامل، ضد هجمات وتسللات وقصف وإطلاق نار متواصل من قبل الجماعات الإرهابية، وخاصة جبهة النصرة وأحرار الشام. والتي استشهد فيها حوالى ١٩٢٣ شخصاً، وكان عدد الجرحى والمصابين ٣٨٦٨ شخصاً معظمهم من النساء والأطفال، لكنهم ما زالوا لم يستسلموا.

وأخيراً، وبعد إبرام الاتفاقات، في تموز/يوليو ٢٠١٨، تم إجلاء سكان الفوعة وكفريا بواسطة ١٢١ حافلة إلى مركز التوطين المؤقت في "جبرين" بسوريا، وغادروا أرضهم فيما تخلد ذكرى ثلاث سنوات من الصمود والمقاومة ضد قوات الاحتلال، والجماعات الإرهابية التكفيرية في أصعب الظروف الاقتصادية والإنسانية والتهديدات المتكررة لن تنسى أبدا. زينب إيمان طلب، كاتبة إيرانية، أعمالها في مجال الأطفال والناشئين، وهي مؤلفة كتاب "النشأة في سبيدان"، كما كان للراوية مجموعة قصص للأطفال والناشئين بعنوان "رواية كربلاء"، وبما أن في هذه الأيام نشهد الجرائم التي يقوم بها الكيان الصهيوني في قتل الأبرياء والأطفال إغتنمنا الفرصة وأجرينا حواراً معها، حيث دار الحديث حول الأطفال الذين يواجهون الحرب، ورواية "النشأة في سبيدان" وفيما يلي نص الحوار:

التحديات لكتابة الرواية

فيما يتعلق بتأليف الرواية والتحديات التي واجهتها تقول السيدة ايمان طلب: أهم مسألة كانت صعبة هي أنني اضطررت للتعرف على إحداثيات وجغرافيا وميزات سورية، وبطبيعة الحال، كان الجزء الأكثر صعوبة هو أنه كان عليّ أن أتعامل ليس فقط مع التاريخ والجغرافيا، ولكن أيضاً مع مناقشة كيفية بدء الحرب.

كنا نسمع هذه الأشياء من وسائل الإعلام الخاصة بنا، لكن لكي أحصل على نظرة أكثر دقة ووضوحاً، ذهبت للتعرف على جغرافيّة سوريا، وعلى العرقيات الموجودة، وحتى على الصناعات اليدوية الخاصة بهم، بحثت وحصلت على معلومات.لأنه لا بد أن تكون هناك بعض الاستخدامات، فهناك مستوطنات شيعية في بلد فيه مذاهب متعددة، لكننا نريد التعرف على إحداثيات وثقافة هذه الاعراق، لفهمها في ذلك الفضاء والأجواء، وكان ذلك صعباً للغاية، لأننا كنّا من ثقافة أخرى، وكان علينا دراسة موضوع ثقافة أخرى، ومن جهة أخرى، إذا أردنا أن نضع أنفسنا مكان هؤلاء الأطفال والعائلات، كانت المعلومات قليلة جداً وكان الأمر صعباً للغاية.

يعني المعلومات كانت قليلة جداً عن الفوعة وكفريا والأحداث التي حصلت هناك في تلك السنوات الـ٣، أي ربما تمكنت من العثور على وثيقة أو اثنتين، وكان ذلك من لحظة تبادل هؤلاء الأشخاص الذين عاشوا في التسوية التي كانت لديهم، وأخيرا بعد ٣ سنوات تم تبادلهم.

ومن جهة أخرى أنني وجدت سلسلة من الصور ولكن للأسف لم يكن هناك الكثير من المعلومات وكان عليّ أن أتواصل مع سلسلة من الأشخاص السوريين، وأسألهم هل هذا الإسم أو الطعام موجود في سوريا؟

إذا كان لأهل الفوعة وكفريا حدائق، فما نوع الفاكهة الموجودة في حديقتهم؟، وقد تمكنا من الحصول على معلومات عن أولئك الذين كانوا يسافرون الى سوريا.

مساعدة أطفال الحرب

بعد ذلك سألنا من مؤلفة رواية "النشأة في سبيدان" أنه نظراً لما نشهده من الجرائم التي يرتكبها الصهاينة بحق أطفال غزة، فكيف يمكن مساعدة هؤلاء الأطفال؟، فقالت: حاولت أن أكتب هذه القصة بطريقة عابرة للدين، أي نقول أن الفوعة وكفريا شيعة وتم محاصرتهم لمدة ٣ سنوات وقاوموا، رغم أنه كان هناك قصف كل يوم، وكانت الحياة صعبة والكهرباء مقطوعة كل يوم، ولم يكن لديهم طعام وكان عليهم أن يأكلوا كل ما يحصلوا عليه، لكنني حاولت الرجوع خطوة إلى الوراء في هذا الكتاب والكتابة عن كل المظلومين في العالم الذين ظلمتهم قوة الاحتلال، وهناك عناصر في هذا الكتاب ربَطتّها بإسرائيل والصهيونية.

في هذه الرواية يتعرّف أطفال الفوعة وكفريا على الأطفال الذين يتعرضون لظلم الصهاينة، وأحضرت أيضاً بعض العناصر التي يمكن للجمهور، إذا كان لديه فضول، أن يبحث عنها ويعرف مَن هؤلاء الهرتسليون الموجودون في الرواية؟ مَن هم الأشخاص المرتبطون بهرتسل والشخصيات التي أسست هذا النظام غير الشرعي؟

بصراحة، إذا أردنا مساعدة هؤلاء الأطفال المظلومين، فيجب على الجميع أن يعملوا بكل ما يستطيعون؛ من كان كاتباً عليه أن يكتب قصة تروي حياة هؤلاء الأطفال المجيدة والحزينة، الأطفال الذين بعضهم لا يخرج من المستشفى بعد الولادة ويموت، وفي رأيي أن الموجة التي بدأت في غزة بعد هذه الأحداث هي أن هناك صحوة بين الأمم.

وفي رأيي أن هذه العلاقة بين الأمم والشعوب، ومنه شعب إيران وشعب بنغلاديش وغينيا وفي أي مكان آخر، باستطاعتهم استخدام الإنسانية كأساس لهذه العلاقة ودعوتهم لرؤية هؤلاء الأشخاص والضغط على حكوماتهم لكي يقوموا بمساعدة هؤلاء الأطفال.

برأيي الطريق إلى الخلاص هو تواصل الأمم مع بعضها البعض، حتى نتمكن من أن نكون صوت هؤلاء الأطفال ونخلق موجة جماعية وعالمية بين الناس للوقوف ضد هذا التنمر.

تعزيز روح المقاومة عند أطفال الحرب

وحول مستقبل أطفال الحرب، وتعزيز روح مقاومة الظلم عندهم قالت ايمان طلب: الأطفال هم ضد الظلم، أي إذا تنظرون إلى طفل، حتى لو تشاجرون معه على قضايا صغيرة، فإنه يتفاعل لأنه يتمتع بشخصية واحترام لنفسه؛ ولا يستطيع أن يتقبل أن هناك قوة خارجية تريد السيطرة عليه، فقط روح الحرية والاحترام والشرف، إذا وجدت في الأطفال، فإنهم بطبيعة الحال لا يستطيعون تحمل الضغط والقوة والقسوة والقمع.

إذا نشأ الأطفال بحرية لأنهم أحرار، وعلينا أن نتعلم من الأطفال الفلسطينيين، لأنهم يعيشون في تلك البيئة، يمكنهم الحفاظ على روح المقاومة لديهم، ويمكنهم القتال، ويمكنهم إعطاء الروح المعنوية للآخرين.

إلى حد ما، أعتقد أن العيش في صعوبة ومعرفة أن هذه الحياة قد تنتهي في أي لحظة، تحاول أن تعيش حياة مجيدة وكريمة.

مسؤولية الكتّاب

وفيما يتعلق بمسؤولية الأدباء والفنانين في هذا الوقت، قالت الأديبة الإيرانية: في رأيي، يجب على الكتّاب أن يعبروا عن أنفسهم ويروا واقع المجتمع، ويروا واقع العالم، ويتخيلوا حقاً العيش بدون وجود قوى خارجية ظالمة وقمعية، وأن يكونوا قادرين على العمل معاً لبناء عالم أفضل وأكثر سعادة.

وهذه هي المواضيع التي يمكنهم الكتابة عنها، وأعتقد أننا يجب أن نمنح الأطفال إحساساً بأهميتهم ونشاطهم في كتاباتنا؛ الآن نكتب عن أي موضوع، وهذا يجعلهم قادرين على المشي والعيش بطريقة أفضل.

كتب المقاومة لأطفال العالم

وأخيراً حول تأليف كتب أخرى بموضوع المقاومة وترجمتها بالعربية قالت السيدة إيمان طلب: الحقيقة أن بين يدي عدة قصص أخرى، بعضها في مرحلة التخطيط، وبعضها تم تأليفها، وبعضها تدور حول قضايا دولية، وهي بالضبط نفس الفظائع والقمع لقد حدث ذلك للأطفال، لكني لن أقول الآن أن الأحداث تنتمي لأي بلد.

ولكن إن شاء الله سنوصله إلى أطفال العالم قريباً، وأرحب بترجمة هذا الكتاب إلى لغات مختلفة، وخاصة العربية، ولكن مع مجموعة من الاعتبارات التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار البلد المقصد في الترجمة، و مع الاهتمام بالترجمة إلى ثقافتهم وأدبهم، وفي النهاية، آملين أن يعم العدل والسلام في كل مكان.

الموجة التي بدأت في غزة بعد هذه الأحداث هي أن هناك صحوة بين الأمم، وفي رأيي أن هذه العلاقة بين الأمم والشعوب، باستطاعتهم استخدام الإنسانية كأساس لهذه العلاقة ودعوتهم لرؤية هؤلاء الأشخاص والضغط على حكوماتهم لكي يقوموا بمساعدة هؤلاء الأطفال

رواية عن صمود أطفال المقاومة

بداية طلبنا من السيدة ايمان طلب لكي تتحدث لنا عن الدافع الذي دفعها لكتابة رواية "النشأة في سبيدان"، فقالت: فكرة تأليف الكتاب جاءت من دار نشر "راه يار" في الوقت الذي كانت سوريا لا تزال في أتون الحرب وكان لدينا سلسلة من اللوحات لأطفال "الفوعة وكفريا" الشيعية في سوريا.

إنهم كانوا يعيشون في مخيمات اللاجئين وغيرها، وهذه اللوحات وصلت إلينا، وأراد الناشر الذي يهتم بقيم الثورة الإسلامية أن نكتب قصة بناءً على هذه اللوحات عن حياة الأطفال الذين كانوا تحت الحصار لمدة ٣ سنوات ولم يكن العالم على علم أيضاً بهذه الحادثة، أي في الحقيقة لم يخبروا العالم بذلك، لقد سمعنا عنه بأنفسنا، ولم يغطّه سوى وسائل الإعلام المحلية الإيرانية، لكن وسائل الإعلام الكبرى في العالم ووكالات الأنباء الكبرى في العالم اتخذت الصمت التام أمام هذه القضية.

كلما قرأت أكثر وتعرّفت أكثر على الأحداث التي تجري في سوريا، شعرت أكثر بواجب إيصال صوت هؤلاء الأطفال للآخرين وإعلام الآخرين بحياتهم الصعبة.

لقد تمكنوا من الصمود لمدة ٣ سنوات، ورغم أنهما مدينتان في سوريا تم الاستيلاء عليهما بسرعة من قبل قوات المعارضة وداعش، إلا أن مقاومة اهالي هاتين المدينتين الشيعيتين لمدة ٣ سنوات كانت نقطة تحول في تاريخ سوريا وتاريخ المقاومة في المنطقة، وأردنا أن نروي قصة هذه المقاومة المجيدة.

الأطفال ومفاهيم العدوان والمقاومة

عندما طلبنا من كاتبة الرواية لكي تبدي لنا رأيها حول تعريف الأطفال بمفاهيم العدوان والمقاومة، قالت: لا أعتقد أنه من الصواب أن يتعرف الطفل على مفهوم الحرب، ولا نود أن يسمع أي طفل مفهوم هذه الكلمة على الإطلاق.

ولكن عندما نرى أن كياناً مستبداً يأتي في منطقة ليست تابعة له، مع سلسلة من المناقشات العرقية والعنصرية، فإنه بكل وقاحة وقوة يطرد أهل أرض من منازلهم وحياتهم ويقتلهم.

خلال هذه السنوات الـ ٧٥، تم استغلالهم واستعمارهم وقتلهم وتدميرهم، والعالم ومؤسسات حقوق الإنسان يتفرجون، وقبل ذلك ما هي الجرائم التي ترتكبها القوى العظمى الأخرى في العالم، ومرة أخرى هذه المؤسسات الدولية، ليسوا فقط ينظرون إلى الموضوع ويتخذون الصمت، بل كانوا أذرعهم.

وللأسف فإن هذا يتطلب أن نعرّف أطفالنا مفهوم الحرب، ومن ذلك إلى مفهوم المقاومة الجميل، وهو ما يعني أننا محتمون ومجبرون، والا فلن يحبنا أحد أن نعلم الأطفال سلسلة من المفاهيم القاسية.

وإذا أظهرنا جمال العيش في سلام وطمأنينة وعدالة ومساواة، وأن كل شخص في مكانه، وأن كل شخص لا يريد أكثر مما يستحق، إذا أظهرنا جمال هذه الأشياء للأطفال، فإن فالأطفال أنفسهم سيأخذون منهم هذه الحياة بأي عامل خارجي يريد ذلك، فهم يقاومون ويحبون المقاومة.

لدينا سلسلة من المفاهيم مثل أنه كلما فشل الشخص أمام المتنمرين، كلما تغلبوا عليه أكثر، أو أن تجهيز أنفسنا يمكن أن يكون نموذجيا وتطورنا أحد العوامل التي تجعل المتنمرين لا يجرؤون على مهاجمتنا، ربما تكون هذه مفاهيم من الأفضل أن يتعرف عليها الأطفال.